

المبحث الثانى

تصحيح أوضاع وتشريع

أزاد الله تعالى الخير للناس جميعا ، وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة ، وخلق لهم من أنفسهم أزواجا ليسكنوا اليها فى مودة ورحمة ، وأوصى كلا من الطرفين بالآخر ، بل وأوصى الانسان بنفسه ، لكن تدخل الانسان فى الأمور بصورة غير التى خلقها الله عليها يفسد الأمور ، ويحول مجرياتها عن مسارها الطبيعى ، فتتعرض الأمور وتضيع ، أو تترك وتفسد ...

ومع أن الله تعالى يرسل بين كل فترة من الزمن وأخرى رسولا يصحح للناس مسار الحياة الفكرية والانسانية ، الا أن الناس بطبعهم ينفرون ممن يدعوهم الى الهدى ، ويرتمون بين أحضان من يغويهم ... والمرأة ، وان كانت شريكة الرجل فى ذلك كله ، الا أن نصيبها كان فى تلك الفترة المظلمة نصيبا لا تحسد عليه ، فقدا عولمت على أساس أنها متاع ، ينزل به الرجل كل ما ينغص حياته ، وكأنها هى سبب الشقاء ومبعث الآلام ...

وفىما سبق عرض لبعض ما كان من نصيب المرأة عبر تلك القرون التى تصل بنا الى نهاية القرن السادس الميلادى ، هذه النهاية التى كانت فعلا نهاية لما عانته المرأة من قسوة الوضعيين ، وعسف الماديين ، وجور الملحين ، ونهم المنتطعين باسم الدين ...

وكان مطلع القرن السابع الميلادى بداية لمطلع نور العدل والاصلاح لقد بعث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أمين قريش ، وفتاها الصالح

مع مطلع القرن السابع وفي بدايته وقد كانت بعثته الشريفة مطالعا
لنور صبح انتظرتة البشرية طويلا ، أنهكها الليل الدامس الثقيل قبل مطلع
هذا النور ... وكأني بالبشرية تهتف من أعماقها :

ألا أيها الليل الطويل الا انجلي

بصبح وما الاصبح منك بأمثل

وجاء نور الاسلام يزيح أمامه دياجير الفكر المظلم ، وينتشل
الغرقى من لجة الحياة الجاهلية الهائجة الملهمة ..

جاء يقول لأولئك الذين امتنوا المرأة وعسفوا بها وأضاعوها ،
ووأدوها : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة
وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون
به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا .. » (١) .

ثم يقول القرآن الكريم أيضا فى معرض حديثه عن نعم الله وآياته
العظيمة الواضحة الجليلة : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا
لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم
يبتكرون ... » (٢) .

(١) الآية الأولى من سورة النساء .

(٢) الآية ٢١ من سورة الروم . « خلق لكم من أنفسكم أزواجا ،

أى من جنسكم . ولو أنه تعالى جعل بنى آدم كلهم ذكورا ، وجعل
اناثهم من جنس آخر من غيرهم من الجن أو الحيوان أو غير ذلك لما
كانت اللفة بين الزوجين ، فمن تمام رحمته تعالى على الرجال ان جعل
أزواجهم من جنسهم .. وخلقهن من انفسهم وجعل بينهم المودة والرحمة
(١١ - المرأة)

ويقول الله تعالى مبينا للناس أنهم جميعا رجالهم ونساءهم من نفس واحدة ، وأن العلاقة بين الرجل والمرأة طبقا لتعاليم السماء يجب أن تكون علاقة مودة بكل ما تحمل الكلمة .. « هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها .. » (١) •

ويشير القرآن الكريم الى جانب من نعم الله تعالى التى ينعم بها على الزوجين اللذين ارتضيا طريق المودة والرحمة ، وحكما شرع الله وارتضياه وأقاما علاقتهما طبقا لتعاليمه .. « والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يُؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون » (٢) •

وجاء رسول الاسلام الذى بعثه ربه بالهدى والرحمة ، والنور والانصاف ليعيد الأمور الى نصابها الصحيح، والانسانية الى ما يرتضيه ربها وما فيه نفعها ، وصلاح أمرها ، واستقامة حياتها ، وانقاذ ماء وجهها جاء سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - ليبلغ الناس عن ربهم ما أنزل من الوحي الربانى ، ومنه ما قاله - صلى الله عليه وسلم - لبنى البشر جميعا : «انما النساء شقائق الرجال» (٣) ولما كن كذلك فإنه يجب لهن مثل ما يجب عليهن ، وذلك انطلاقا من قول الله تعالى :

والمحبة والالفة ليعمر الكون على أساس من التألف والتراحم .. .

• يراجع ابن كثير ج ٣ ص ٤٣٠

• (١) الآية ١٨٩ من سورة الأعراف

• (٢) الآية ٧٢ من سورة النحل

• (٣) رواه أبو داود والترمذى واحمد وغيرهم •

« ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ٠٠٠ » (١) « فان اطعنكم فلا تتبعوا عليهن شييلا ان الله كان عليا كبيرا » (٢) •

ويورد القرآن الكريم التسوية والانصاف فيؤكد أن مناط التسوية ينبعث من نفس الخلقة فهما من نفس واحدة ، واذا كان هناك ثمة مجال يمكن أن يكون مناط تقديم أحد على أحد فهو مناط العمل وحده والعمل المصالح بعينه ، وهذا ما حدثنا به القرآن الكريم فى مواضع كثيرة ولقد جاء حديث القرآن مطمئنا للجميع أن رب الناس لا يضيع عمل أحد من الناس ، ومن هنا كانت اجابة الله تعالى لكل من دعاه من الآدميين رجالا ونساء ٠٠ « ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسناك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد » (٣) كانت الاجابة السماوية والاخيار الربانى والبشرى للجميع « فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضهم من بعض فالذين هاجروا وخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب » (٤) •

والمدقق فى أسلوب القرآن الكريم هنا يرى مدى الابتعاد فى أسلوبه المفهم للتسوية بين بنى البشر فى استجابة ربهم لهم وسماه خطابهم واثابته اياهم على أعمالهم فالآية تتحدث وتخير باستجابة الضالقات للمخلوقين تخبر عن ذلك موردة ضمير الجمع للغائب « لهم ربهم » ثم تورد بعده ضمير الجمع للمخاطب ، « منكم » ثم تفصل المخاطبين حتى لا يقول قائل انها تخاطب الرجال وحدهم أو تخاطب النساء دون الرجال فتبين الآية الكريمة المخاطبين بأنهم الرجال والنساء جميعا « من ذكر أو

(١) الآية ٢٢٨ من سورة البقرة •

(٢) الآية ٣٤ من سورة النساء •

(٣) الآية ١٩٤ من سورة آل عمران •

(٤) الآية ١٩٥ من سورة آل عمران •

أنثى بعضكم من بعض » وما أجمل هذه العبارة التي وكأنها جاءت لتؤكد التسوية بين المتماثلين نظراً لأنهما عملاً عملاً متماثلاً وهما قبل ذلك بعضهم من بعض ***

ان العاملين مجتمعين هما مناط التسوية لا غير *** فمادام الرجل والمرأة قد عملاً عملاً واحداً فان الله تعالى يثيبهما ثواباً عميماً جزيلاً، فهما خلقه وقد أطاعاه *** فمن هاجر من النساء وقاتل فله مثل من هاجر من الرجال وقاتل *** ويؤكد هذا ما روى عن السيدة أم سلمة أم المؤمنين من أنها قالت : يا رسول الله لا نسمع ذكر النساء في الهجرة بشيء : فأنزل الله تعالى : « فاستجاب لهم ربهم *** » (١) •

ولقد أورد القرآن الكريم هذه التسوية في الجزاء بين الطائعين العاملين من الرجال والنساء في مواضع كثيرة ، لينبه أولئك الذين فرقوا بين الجنسين من غير دليل أو سند من شرع أو دين ، فيذكر القرآن الكريم للناس جميعاً ما يصحح الفكر ويرسي قواعد العدل ، فيقول تعالى « من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » (٢) •

ويقول تعالى : « ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب » (٣) •

-
- (١) رواه الحاكم في مستدرکه من حديث سفیان بن عینبہ ویراجع تفسیر بن کثیر ج ١ ص ٤٤٢ •
 (٢) الآية ٩٧ من سورة النحل •
 (٣) الآية ٤٠ من سورة غافر •

كل هذا التصحيح للفكر البشرى جاء به القرآن الكريم مخاطبا به الناس جميعا بكل أجناسهم وألوانهم وألسنتهم ، الأحمر والأسود ، والأبيض والأصفر والعربى والأعجمى ، الناس جميعا • من هنا كان قول القرآن في خطابه « يا أيها الناس » ليعم الخطاب كل الناس •••

يخاطب أولئك الذين يعتبرون المرأة من سقط المتاع ، وأولئك الذين يجتمعون بعد ولادة النبي - صلى الله عليه وسلم - عام ٥٨٦ ميلادية ليقرروا بعد جدال وخلاف وأخذ ورد، أن المرأة انسان • وهذا كسب عظيم للمرأة أن يقر أولئك أنها انسان وكنوا يعتبرونها مخلوقا نجسا (١) ومع ذلك لم يستطيعوا التخلص من عقدهم فقالوا عنها أنها انسان خلق لخدمة الرجل • هذا ما تمخض عنه اجتماع أوربى عام ٥٨٦ ميلادية في فرنسا للبحث عن حقيقة المرأة •••••

كما يخاطب القرآن الكريم أيضا - بما جاء به من انصاف وتصحيح - أولئك الذين كانوا اذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم •• أولئك الذين كانوا يتدنون المولودة من غير ذنب ولا جريرة الا لكونها ولدت أنثى ولم تكن ذكرا ••• بل ويخبر القرآن الكريم أولئك أن هذه المولودة ستسأل يوم القيامة وستشهد على أولئك الذين وأدوها ودفنوها في التراب حية من غير جريرة ارتكبتها الضعيفة فيقول القرآن

(١) لقد اجتمع مجمع ماكون في القرن السادس الميلادى للبحث عن حقيقة المرأة ، والنظر فى كونها مجرد جسم لاروح فيه ، أم هى جسم وروح ؟ وبعد مناقشات وجدال تمخض المؤتمر عن تقرير أن المرأة خلقت من الروح الناجية من عذاب جهنم ، ماعدا أم المسيح = عليه السلام •• وقد سبق بيان جانب من ذلك كله •••

الكريم مخبرا عما كان من شأن أولئك ، في أسلوب يعيب عليهم ما كان منهم يومئذ جعلوا لله تعالى ما لا يرضونه لأنفسهم فجعلوا له البنات وأنفسهم البنين . وعاب القرآن ذلك كله عليهم فقال تعالى « أفرايتم الملات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألكم الذكر وله الأنثى تلك اذا قسمة ضيزى » الى أن يختم الله تعالى مقولته بالفصل فيها ووصفها بما تستحق « ... ان يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جساءهم من ربهم المهدى » (١) .

وفي موضع آخر يقول الله تعالى : « الا أنهم من افكم ليقولان ولد الله وانهم لكاذبون أصطفى البنات على البنين ما لكم كيف تحكمون أفلا تذكرون أم لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين » (٢) .

ثم يذكر القرآن الكريم ما كان من أولئك حين يبشر أحدهم بأن زوجه قد ولدت أنثى فيقول تعالى : « ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم

(١) الآيات ١٩ - ٢٣ من سورة النجم .

كانت اللات صخرة بيضاء عليها نقوش ولها أستار وكان أهل الطائف يعظمونها . وكانت العزى شجرة وعليها بناء وأستار وكانت تقع بين مكة والطائف وكانت قريش تعظمها .

وكانت مناة في مكان بين مكة والمدينة وكانت خنزاعة والاوز والخزرج يعظمونها في الجاهلية ويهلون للحج للكعبة من عندها .

ولقد عاب القرآن انكريم على هؤلاء جميعا ما كان منهم من تعظيم هذه الاوثان وغيرها ، وكذا قسمتهم بينهم وبين الله - تعالى الله عن هذه القسمة لهم الابناء الذكور ولغيرهم البنات فكان ذلك سفها وجورا وقسمه باطلا ، فما بالهم وقد فعلوا ذلك وقسموا بينهم وبين الله - تعالى عن ذلك

يراجع ابن كثير ج ٤ ص ٢٥٤ وما بعدها .

(٢) الآيات ١٥١ - ١٥٧ من سورة الصافات .

ما يشتهون واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون» (١) •

وقال تعالى : « وجعلوا له من عباده جزءا ان الانسان لكفور مبين أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم » (٢) •

يذكر القرآن الكريم ذلك كله ثم يصحح لأولئك فكرهم ويحذرهم من مغبة فكرهم وسوء عاقبة أعمالهم يوم تسأل الموعودة عن أى ذنب قتلت ؟ وفى ذلك من التهديد ما فيه ليرتدع أولئك ، خوفهم بذكره ما سيكون يوم القيامة حين يبعث الله المظالم والمظالم ، ويشهد المظلوم على الظالم ، وينتقم له منه ، ولا منجاة من عقاب الظالم على ما قدم واقترف فى يوم عظيم وموقف تكور له الشمس وتنكدر له النجوم ، وتسير له الجبال ... وتحشر الودحوش وتسجر له البحار ... عند ذلك كله وأكثر منه تسأل الموعودة... « اذا الموعودة سئلت بأى ذنب قتلت... » (٣) •

ويخبر الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن الموعودة فى الجنة وأن الموائد فى النار ، الموعودة فى الجنة مع النبيين والشهداء وحسن أولئك رفيقا • والموائد فى النار ، والنار فيها ما فيها - أعاذنا الله منها • يجيب الرسول - صلى الله عليه وسلم - يا رسول الله من فى الجنة ؟ يقول النبى - صلى الله عليه وسلم - : « النبى فى الجنة ،

-
- (١) الآيات ٥٧ - ٥٩ من سورة النحل •
 (٢) الآيات ١٥ - ١٧ من سورة الزخرف •
 (٣) الآيات ٨ - ٩ من سورة التكوير •

والشهيدي في الجنة ، والمولود في الجنة ، والموعودة في الجنة » « الوائدة في النار الا أن يدرك الوائدة الاسلام فيعفو الله عنها » واذ الاسلام يجب ما قبله .

وقد جاء قيس بن عاصم الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله انى وأدت بناتنا لى في الجاهلية ، قال النبى : «اعتق عن كل واحدة منهن رقبة » قال : يا رسول الله انى صاحب ابل . قال النبى : « نأخر عن كل واحدة منهن بدنة » (١) تكفيرا عن الفعل وتوبة من الذنب العظيم .

ويسد الاسلام كل منافذ الايذاء بالأدنى ، ويفتح لها كل الأبواب التى تستنشق منها عبر الحرية والمساواة والانسانية ...

فيحرم قتلها خوف الفاقة أو غيرها « ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا » (٢) . ولم يتوقف النهى عن قتلهم عند خشية الاملاق فقط وانما يأتي النهى أيضا عن قتلهم حتى ولو كان الأمر أشد ، والاملاق قد وقع وأغرق الفقر الأسرة ، فالقرآن يشير الى الابقاء على المولودة فعسى أن

(١) وفى رواية اخرى أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال لقيس بن عاصم : « اعتق عدد من نسما ، فاعتق عدد من نسما ، فلما كان العام المقبل جاء بمائة ناقة فقال يا رسول الله هذه صدقة قومي على نائر ما صنعت بالمسلمين ، قال على بن أبى طالب : فكنا نربحها ونسميها القيسية .

يراجع تفسير بن كثير ج ٤ ص ٤٧٨ وما بعدها .

(٢) الآية ٣١ من سورة الاسراء .

تكون سبب انزال الرزق موسعا ، والبركة والخير ... فيقول تعالى :
 « قل تعالوا أنل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين
 احسانا ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ... » (٢) •

ويجعل الاسلام الاحسان الى الوالدين والنهي عن قتل الأولاد يأتي
 في المرتبة الثانية بعد الايمان بالله ، ويجعل المعقوق بالوالدين وقتل
 الأبناء قرين الشرك بالله تعالى — أعاذنا الله تعالى من ذلك •

ويقرر الرسول — صلى الله عليه وسلم — ذلك ويبينه حين يسأل ،
 فقد روى ابن مسعود — رضى الله تعالى عنه — « سئل رسول الله — صلى
 الله عليه وسلم — أى الذنب أعظم ؟ » قال : « أن تجعل لله ندا وقد
 خلقك » قيل ثم أى ؟ قال : « أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك »
 قيل ثم أى ؟ قال : « أن تزاني حليلة جارك » (٢) •

بل لن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يزيد الوصية بالأنتى
 ويبين جزاء الاحسان اليها والاهتمام بأمرها فيقول — صلى الله عليه
 وسلم — فيما رواه أبو داود عن ابن عباس : « من كانت له أنتى فلم
 يئدها ، ولم يهنها ، ولم يؤثر ولده عايتها ، أدخله الله الجنة » انه لأجر
 عظيم لا يعرف كنهه الا من وقف على حقيقة ما فى الآخرة من أهوال ••
 •• وما لجهنم من وقع وشدة وشهيق وغيظ (٣) •

(١) الآية ١٥١ من سورة الانعام •

(٢) متفق عليه •

(٣) يقول تعالى فيما يحدث لمن كذب الساعة ولم يخش الله ولم

يتق النار •• « بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا •

إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا • وإذا القوا منها مكانا

كما يقول - صلى الله عليه وسلم - فيما رواه البخارى أن السيدة عائشة - رضى الله تعالى عنها - قالت : « جاءتنى امرأة ومعها ابنتان تسألنى ، فلم تجد عندى غير تمره واحدة ، أخذتها فقسمتها بين ابنتيها ثم قامت فخرجت ، فدخل النبى - صلى الله عليه وسلم - فحدثته بأمرها فقال : « من باى من هذه البنات بشئ فأحسن اليهن • كن له سترا من النار » (١) •

ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا • قل اذلك خير أم جنة الخلد التى وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا • لهم فيها ما يشاءون خالدين كان على ربك وعدا مستولا • الآيات ١٢ - ١٦ من سورة الفرقان كما يقول تعالى : « وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير • اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا وهى تفرور • تكاد تميز من الغيظ كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها الم يأتىكم نذير • الى قوله تعالى : « ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير • »

الآيات ٦ - ١٢ من سورة الملك •

(١) وقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - « من بلى » هذا من بلاغته - صلى الله عليه وسلم - وهو من باب المشاكلة أى مشاكلة اللفظ. لما فى أنفس أولئك الذين جاء الاسلام ليصلح من نفوسهم ، مثال ذلك ما جاء من قول الله تعالى : « ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ، الآية ٥٤ من آل عمران ••• أو من باب قوله تعالى : « ونبلوكم بالشر والنصر فتنه والينا ترجعون » الآية ٣٥ من سورة الأنبياء •

وقوله تعالى : « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم » الآية ٣١ من سورة محمد •

وفي رواية ابن ماجه : أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال « ما من مسلم له بنتان فيحسن إليهما ما صحبتاه أو صحبتها ، الا أدخلناه الجنة » .

وفي رواية الترمذى ، أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال « من كان له ثلاث بنات ، أو ثلاث أخوات ، أو بنتان ، أو أختان فأحسن صحبتتهن ، واتقى الله فيهن ، فله الجنة » .

وفي رواية أبى داود : « .. فأدبهن وأحسن إليهن وزوجهن ، فله الجنة » .

وفي صحيح الامام مسلم عن أنس بن مالك — رضى الله تعالى عنه — أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : « من عال جاريتين حتى تبلغا ، جاء يوم القيامة أنا وهو — وضم أصابعه » .

وكانت مواقف عظيمة علم الرسول — صلى الله عليه وسلم — الناس فيها ما للبنات من حقوق فى كل مناحى الحياة .

فهو الذى يمنع واحدا من صحابته أراد أن يوصى بكل ماله للمسلمين ... ولم تكن آيات المواريث قد نزلت ، وكان لهذا الصحابى بنات .

فقد أورد الامام البخارى أن صحابيا جاء يستأذن النبى — صلى الله عليه وسلم — فى أن يوصى بماله للمسلمين ، اذ لم يرزق بولد ذكر ، ولم تكن آيات المواريث قد نزلت ، فسأله الرسول — صلى الله عليه وسلم — هل لك بنات ؟ فقال : نعم فأبى عليه الرسول — صلى الله عليه وسلم — أن يوصى بماله للمسلمين وله بنات ...

ما أعظم هذه التعاليم المستلهمة من عند الله ...

وها هو — صلى الله عليه وسلم — وقد جاءتته امرأة سعد بن الربيع الأنصاري — رضى الله تعالى عنه — تقول له : يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع ، قتل معك يوم أحد ، وقد استفاد عمهما ما لهما وميراثهما كله ، فلم يدع لهما مالا الا أخذه ، فما ترى يا رسول الله ، فوالله لا نكحان أبدا الا واهما مال ؟ فقال — صلى الله عليه وسلم — : « يقضى الله في أمرك » وأمهلها الى الغداة ، فنزلت آية المواريث ، فقال — صلى الله عليه وسلم — « ادع لى المرأة وصاحبها ، فلما جاء ، قال لعم البنين : اعطهما الثلثين ، واعط أمهما الثمن ، وما بقى فهو لك » (٢) .

وهكذا ينصف الاسلام المرأة وينقذها مما كانت قد أثقلها بها الطوفان ، وعادت من حديد لترسو على ظهر الأرض وقويت على تجاوزه

(١) رواه الامام مسلم فى صحيحه فى ميراث الكلاله ، نيل الاوطار ج ٥ ص ٦٥ وكان العرب قبل الاسلام لا يورثون النساء مطلقا ، وانما يقصرون الميراث بسبب النسب على الرجال القادرين على حمل السلاح والذود عن القبيلة . ولهم فى ذلك قول مأثور جاء فيه : لا يعطى المال الا من قاتل على ظهور الخيل ، وطاعن بالرمح ، وضارب بالسيف وحاز الغنيمه .

جاء الاسلام يقرر الحقوق لاصحابها . . يعطى النساء ويعطى الرجال . . فيقول الله تعالى : « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا » الآية ٧ من سورة النساء .

ويراجع دراسات فى أحكام التركات والمواريث للباحث ص ٢٢ وما بعدها ط ١٩٨٦ م .

بل وأكثر من ذلك فإن الاسلام قد ملكها أمر نفسها (٢) ، وجعل لها حق اختيار شريك حياتها ومؤنس أيامها ، وكأنت قبل لا رأى أباها ، تنتقل من بيت الى بيت من غير أن تستشار أو حتى تعلم من ستعاشره .

لقد ملكها الاسلام أمر نفسها ، قبل الزواج وبعده . . .

فقد روت السيدة عائشة أم المؤمنين — رضى الله تعالى عنها — أن فتاة دخلت عليها فقالت — وهى بادية الانفعال والغضب — : ان ابنى زوجنى ابن أخيه ، ليرفع به خسيسته وأنا كارهة ، فأجلستها السيدة عائشة حتى يأتى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وجاء النبى — صلى الله عليه وسلم — وحدثته السيدة عائشة بأمر الفتاة فأرسل — صلى الله

(١) روى الائمة احمد والبخارى ومسلم وأصحاب السنن عن أبى هريرة — رضى الله تعالى عنه — أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : « لاتنكح الأيم حتى تستأمر ، ولا انبكر حتى تستأذن » قالوا : يارسول الله وكيف اذنها ؟ قال : « أن تسكت » .

وفيما رواه الجماعة الا البخارى عن ابن عباس قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « الثيب أحق بنفسها من وليها ، والبكر تستأذن فى نفسها واذنها صممتها » .

وروى الجماعة الا مسلما عن خنساء بنت خدام الأنصارية أن أباهما زوجها وهى بنت فكرمت ذلك ، فأنت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فرد نكاحها ، أى أبطله . ويكفى أن نذكر هنا ماجاء من قول الله تعالى : « فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف » ، الآية ٢٣٢ من البقرة . وقوله تعالى : « ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما أتيتموهن » ، الآية ١٩ من سورة النساء .

عليه وسلم — الى أبيها ، وسأله ماذا فعلت بابنتك من غير أن تسألها :
ثم ملك الفتاة أمر نفسها ، ومكنها من أمرها ...

فما كان من الفتاة الا أن قالت : « قد أجزت ما صنع أبي ، ولكن
أردت أن أعلم : أن للنساء من الأمر شيء ؟ » (١) .

ما أعظم ما جاء به الاسلام من حقوق تضمن حياة مستقرة بعيدة
عن كل ما يغضب الله ، ويكره النساء .

وهذه امرأة أخرى تأتي رسول الله — صلى الله عليه وسلم — تحدثه
في أمر طلاقها لأنها رأت زوجها قد أقبل في جماعة هو أقصرهم طولاً
وأقبحهم شكلاً وهي تكره الكفر في الاسلام ، تكره أن تنظر الى غيره ،
لم يعنفها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ولم يردها ولم ينكر
عليها وإنما أرسل الى زوجها الذي علم بما كان فقال : يا رسول الله لقد
أمهرتها حديقة ... فقال لها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — :
« أتردين عليه حديقته ؟ » قالت نعم وزيادة فقال النبي — صلى الله
عليه وسلم — : « أما الزيادة فلا » فردت الحديقة وأمره النبي — صلى
الله عليه وسلم — بطلاقها ... (٢) .

انه أمر لم يكن للنساء من قبل ، بل ان غير المسلمين وتحت سقف

(١) رواه الأئمة احمد والنسائي وابن ماجه .

(٢) يراجع صحيح البخارى ج ٩ ص ٣٣٩ ، سنن البيهقى ج ٧

٢١٣ المستدرک ج ١ ص ٢١٠ - ٢١١ ، مسند الامام احمد ج ٦

ص ٤٣٣ - ٤٣٤ .

ندوى الدين ينكرون على المرأة طلب الطلاق ، ولا يقضون به لها ،
ويدرغونها على الإقامة مع زوج لا تطيقه (٢) ٠٠٠٠

ولا يكتفى الاسلام بذلك بل ان رسول الله — صلى الله عليه وسلم —
— يأمر المسلمين بعدم الاضرار بالنساء في الطلاق ٠٠٠ فعن نافع بن
عبد الله بن عمر — رضى الله عنهما — انه طلق امرأته وهى حائض ،
فسأل عمر بن الخطاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عن ذلك ،
فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « مره فليراجعها ثم ليمسكها
حتى تطهر ثم تحيض ، ثم تطهر ، ثم ان شاء أمسك بعد ، وان ثبأ طلق
قبل أن يمسن : فتلك العدة التى أمر الله أن يطلق لها النساء » (٢) ٠

(١) ولا يخفى ما كان من شأن البابوية فى روما عام ١٩٦٧ م حين
قدم طلب للبرلمان الايطالى يطالب بإباحة الطلاق فما كان من البابوية
الايطالية الا أن اعترضت على ذلك وقالت ان ذلك من حق الفاتيكان
وحده ٠٠٠

وقدمت مذكرة ثانية مدعمة بالاحصائيات التى تبين كم الملايين
الذين يعيش كل منهم مع امرأة غير زوجته ومع زوج غير زوجها واحصائية
بعدد المواليد غير الشرعيين الناتجين عن هذه العلاقات غير الشرعية ٠
وظل الأمر هكذا فى أخذ ورد وطلب واعتراض كنى حتى تمت
الموافقة على اباحة الطلاق عام ١٩٧٠م بعد أربعة عشر قرنا من اقراء
الاسلام له ولغيره من الحقوق ٠٠٠

الأمر ليس بحاجة الى تعليق معلق ٠٠٠

(٢) صحيح البخارى ج ٩ ص ٢٨٥ ، صحيح مسلم بشرح النووى

ج ١٠ ص ٦ سنن النسائى ج ٣ ص ١٢٨ ٠

كل ذلك يستهدف منه الاسلام عدم مضارة النساء ... اعمالا لقول
الله تعالى « فطلقوهن لعدتهن » (١) •

كل ذلك والاسلام يحرص على الحياة الزوجية ويبين للناس أن
أبغض الحلال الى الله الطلاق (٢) •

والاسلام حرصه على استمرار الحياة الزوجية وعدم المساس
بها يحرص أيضا على أن تكون هذه الحياة قائمة على أساس من الوفاء
والمحبة لا على الاكراه والجبر ... اذ الاكراه ينتج مالا يحمد عقباه
ولا يرضاه الاسلام لبنييه ، ومن هنا كان حديث رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - مع إحدى المؤمنات حديثنا حديثا يحدثنا يحثها على إعادة علاقتها
الزوجية بمن طلقها وهو يحبها الحب كله ... وهي تقول رأيتها حرة
تناقش أشرف الخلق وتعلن رأيتها وما تختار ...

كانت بريدة أمة عند السيدة عائشة أم المؤمنين ، وكما هو خلق
السيدة عائشة أنعتت بريدة ، فلما غدت بريدة حرة ، اختارت نفسها ،
وكانت زوجة لعبد يسمى مغيث ... وغدا مغيث يبكي حزنا على فراق
بريدة وعلم النبي - صلى الله عليه وسلم - بما كان من أمر مغيث ،
وتعجب - صلى الله عليه وسلم - من شدة حب مغيث لبريدة ، ومن
بغض بريدة مغيثا ، ثم قال - صلى الله عليه وسلم - لبريدة : « لو
راجعتك » قالت : يا رسول الله أتأمرني ؟ فقال : « إنما أنا أشفع »
قالت : فلا حاجة لي فيه ، الى هذا الحد احترم الاسلام حق المرأة في

(١) الآية ١ من سورة الطلاق ، يراجع تفسير الطبري ج ٢٨

ص ٤٠٠ ، تفسير الكشاف ج ٢ ص ٤٠٠ •

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٩ ص ٣١٠ •

اختيار من تعاشر وتعايش وتقترب به ، حتى تبني بيوت المسلمين على
المودة والألفة ، والنفقة ومن هنا كان قول عمر بن الخطاب : اذا أرادت
النساء الخلع فلا تكفروهن (١) •

وأكثر من هذا كله ما كان من رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
حين خير زوجاته بين انفراق مع أمتعة ، وبين البقاء معه مع قلة النفقة
وكان كل ذلك بأمر من الله تعالى : « يا أيها النبي قل لأزواجك ان كنتن
تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن وأسرحن سراحا جميلا
وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن
أجرا عظيما » (٢) •

(١) يراجع سنن البيهقي ج ٧ ص ٣١٣ وتراجع بداية المجتهد

ج ٢ ص ٤١ •

(٢) الآيتان ٢٨ - ٢٩ من سورة الاحزاب • يقول الامام احمد .
حدثنا أبو عامر عبد الملك بن عمير حدثنا زكريا بن اسحاق عن أبي الزبير
عن جابر - رضى الله عنه - قال : أقبل أبو بكر - رضى الله عنه -
يستأذن على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والناس بينه جلوس ،
والنبي - صلى الله عليه وسلم - جالس ، فلم يؤذن له ، ثم أقبل عمر -
رضى الله عنه - فاستأذن ، فلم يؤذن له ، ثم أذن لأبي بكر وعمر -
رضى الله عنهما - فدخلا ، والنبي - صلى الله عليه وسلم - جالس ،
وحوله نساؤه ، وهو - صلى الله عليه وسلم - ساكت ، فقال عمر -
رضى الله عنه - : لأكلمن النبي - صلى الله عليه وسلم - لعله يضحك .
فقال عمر - رضى الله عنه - : يا رسول الله لو رأيت ابنة زيد - امرأة
عمر - سألتنى النفقة أنفا ، فوجات عنقها ، فضحك النبي - صلى الله
عليه وسلم - حتى بدت نواجذه وقال : « من حولى يسألنى النفقة ،
=

(٢٢ - المرأة)

وقد روى البخارى أن السيدة عائشة - رضى الله تعالى عنها
 أخبرت أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جاءها حين أمره الله
 تعالى أن يخير أزواجه ، قالت فبدأ بى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
 - فقال : « انى ذاكر لك أمرا ، فلا عليك أن لا تستعجلي حتى تستأمرى
 أبويك » وقد علم أن أبوى لم يكونا يأمرانى بفراقه ، قالت : ثم قال :
 ان الله تعالى قال : « يا أيها النبى قل لأزواجك ... » الى تمام الآيتين
 فقلت له : ففى أى هذا استأمر أبوى ، فانى أريد الله ورسوله والدار
 الآخرة ، ثم فعل أزواج النبى - صلى الله عليه وسلم - مثل ما فعلت
 السيدة عائشة - رضى الله تعالى عنهن أجمعين -

أى معاملة هذه التى أعطت للنساء ما شرع الله لهن دون نقصان
 وأزاحت عنهن ما ظنن يرحن تحت نيره عهودا طويلة ... انها عدالة
 الاسلام وتشريعه ...

فقام أبو بكر - رضى الله عنه - الى عائشة ليضربها ، وقام عمر - رضى الله
 تعالى عنه - الى حفصة ، كلاهما يقولان : تسألان النبى - صلى الله عليه
 وسلم - ما ليس عنده ، فنهاهما رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
 فقلن : والله لا نسأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد هذا المجلس
 ما ليس عنده . قال : وأنزل الله - عز وجل - الخيار ، فبدأ بعائشة -
 رضى الله عنها . . . وقالت السيدة عائشة - رضى الله عنها - : أفيك
 استأمر أبوى ؟ بل اخار الله ورسوله ، وأسألك أن لاتذكر لامرأة من
 نسائك ما اخترت ، فقال - صلى الله عليه وسلم - : « ان الله تعالى له
 يبعثى معنفا ، ولكنى بعثنى معلما ، ميسرا ، لا تسألنى امرأة منهن عما
 اخترت الا اخترتها » .

أخرجه الامام مسلم والامام النسائى .

يراجع تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤٨٢ .

ويراجع أحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ٤٣٩ .